

مختار سيّد صالح

في غَيَابَةِ الْحُبِّ

(الطبعة الثالثة)

شعر

المجموعة الشعرية الفائزة بالمركز الأول – جائزة الشارقة للإبداع العربي –

الدورة الـ 15 (دورة 2011-2012)

جميع حقوق الطبعين الثانية و الثالثة محفوظة للمؤلف

و حقوق النشر و الطبع الخاصة بالطبعة الأولى محفوظة لدائرة الثقافة و الإعلام
بالمشاركة - دولة الإمارات العربية المتحدة

ISBN : 9948-04-895-4

كُتِبَتْ هَذِهِ الْقِصَائِدُ بَيْنَ عَامَيِ

2007 و 2011

الإهداء

إلى التي منحتني هذا البركان الشعريّ

عوضاً من حضورها الرّقراق،

إلى (....)،

حُبّاً راعفاً، و أيقونةً لا تموت.

اعتراف متأخر

(أضيف للمرة الأولى في الطبعة الثالثة سنة ٢٠٢٠)

انتظرت قبل كتابة هذا الاعتراف قرابة عقد من الزمن بعد أن صدرت الطبعة الأولى من هذه المجموعة، أملاً أن يكتبه ناقدٌ نيابة عني، بعد أن يتنبّه إليه، فيغنييني عن الإشارة، و يرفع عني حرجها، فلمّا نفدت الطبعتان الأولى و الثانية، و لما يتنبّه النقاد كان لزاماً عليّ أنّ أشير للملمح الأكثر طرافةً في هذه المجموعة، و الأكثر عبقريةً ربّما، ألا و هو خلوّها كلّها من الحروف الصغيريّة: السين، و الصّاد، و الزّاي!

و مردّ ذلك -لمن لا يعرفني- أنني ألثغ أحياناً بهذه الحروف، فأردت لما كتبت هذه القصائد في تلك المرحلة -و قد كنت مراهقاً يومها- أن يكون شعري مناسباً للإلقاء المنبريّ كما كنت أظنّ وقتها.

فلمّا دارت السنون علّمتني و المرَضُ الذي أحمد الله عليه، أنّك قد تنام معافى على أبجديّة كاملة، ثمّ تصحو على أبجدية مثلومة، يثلمها خلعٌ في مفصل فكّ هنا، أو ميل في ضرس هناك، أو تمزّق عضلة بينهما، أو أشياء أخرى يحار فيها الطبّ و الأطباء! .. فسبحان الخالق.

على أية حال، في نهاية المطاف، حين يموت الشاعر، لن يبقى سوى أثره، و ليس مهمّاً -برأيي- كيف كان المتنبي يلقي قصيدته، بل المهم أنّها بقيت خالدة فوصلتنا، و ستبقى إلى أن يرث الله الأرض و من عليها أو هكذا أغلب الظنّ.

و على ذكر الموت، لا بد أن أبدأ هنا أمام الله، و أمامك أيّها القارئ العزيز من بعض ما ورد في طيّات الطبقات السابقة من هذه المجموعة ممّا قد يحتمل أكثر من تفسير يعلم الله أنّي لم أقصده، إنّما هي فتنة فتناً بها كشعراء شباب في تلك الفترة، أوردتنا المزالق و تكاد توردنا المهالك لولا رحمة الله.

أخيراً، ربّما يكون من المنصف أن أذكر أن عدم تنبّه أيّ ناقد لمسألة التعرية في هذه المجموعة لسنوات عشرة يدفع عنها و عن شاعرها أيّ تهمة تكلف أو صنعة على حساب الشّعور و العاطفة، أو ربّما يضع علامة استفهام كبيرة تخبرنا ألا حركة نقدية جادة في الوسط الأدبي أصلاً، و هو الأرجح!

كوالالمبور - ١٠-١١-٢٠٢٠م

وارثُ النَّياتِ

(الطويل)

على شاطئِ الأحلامِ .. ما خُضْتُهَا بَعْدُ

شِراعي و مجداني التَّحْمُلُ و الكدُّ

أُعَلِّلُ فُلكَ العُمُرِ بالمَوْجِ عالياً

فَلا المَوْجُ أعلاها و لا فَعَلَ المَدُّ

و لي شِبرُ أفراحٍ تَوَعَّدَنِي فتي

فيا شيبَ أعوامي أَلَمْ يَطُلِ الوَعْدُ؟

لَئِنْ كُنْتُ أعدو خَلَفَ فَجري فَإِنِّي

تَتَبَعْتُهُ دَهراً و ها هوَ ذا يعدو !

و أَلْقَيْتُ نَرْدَ الحُبِّ في رُقْعَةِ الورى

فَخَابَتْ رِهاناتي و ضاعَ الهوى النَرْدُ !

فيا رُكْبَةَ الغيمِ التي بَلَّلَ النَّدَى

تنانيرها حتى تمثلها الورْدُ

و يا رِيشَةَ القنديلِ في كَفِّ عاشِقٍ

عناوينهُ المَوَالُ و اللَّيْلُ و الوَجْدُ

هُوَ الظَّمُّ الكَوْنِيُّ أَبَدَعْ وَحْشَتِي

معي كُلُّ أَهْلِ الأَرْضِ لَكَنِّي فَرْدُ !

تَبَحَّرْتُ مُرْتَابَ المِشَاعِرِ مُغْضَبًا

فَمِنْ رِيْبَتِي بَرْقٌ و مِنْ غَضَبِي رَعْدٌ ! ¹

أُفْتِشُ عَنْ وَجْهِ بَرِيءٍ فَلَا أَرَى

-عْدَاكَ- عَدَا وَجْهِ يُقْنِعُهُ الْوَدُّ

و خَلْفَ قِنَاعِ الْوَدِّ أَلْفُ عداوَةٍ

و بغضاءٍ أنماها و أَكْبَرُهَا الْحَقْدُ

فَهَلْ تُرْجِعُ الأَيَّامُ ما كانَ بَيْنَنَا ؟

إِذ اللَّيْلُ بالنَّجْوَى يَطُولُ و يَمْتَدُّ

¹ في هذا البيت إشارة إلى قصيدة (ذاكرة الملك المخلوع) للشاعر وليد الصرّاف.

و إِذْ قُلْتُ لِي : إِنِّي عَجِبْتُ مِنْ الْهَوَى

فَبِيدَاؤُهُ نَهَزَ وَ حَنَظَلُهُ شَهَدُ

يَرَانِي أَتْرَابِي بِنَارٍ وَ حُرْقَةٍ

مِنْ الشَّوْقِ آهَاتِي تَرُوحُ وَ تَرْتَدُّ

أُقَلِّبُ طَرْفَ الْقَلْبِ بَيْنَ عَوَاطِفِي

فَأَلْقَى هَيَاماً فِيكَ .. لَا مَا لَهُ حَدُّ

كَأَنَّ نَارَ إِبْرَاهِيمَ أَشْعَلَتْ فِي دَمِي

فَحَرَّرَى أُرَى مِنْهَا وَ لَكِنَّهَا الْبَرْدُ !

*

و وَادٍ مِنَ الذِّكْرِى مَرَّرْتُ بِهِ عَلَى

مَمَالِكِ نَمَلٍ لَا يُحِطُّمُهُ الْجُنْدُ !

وَقَفْتُ بِهِ حِيناً مِنَ الْحُلُمِ ذَاهِلاً

أَرَاقِبُنِي شَمْعاً يُذَوِّبُهُ الْفَقْدُ

"وَقُوفاً بِهِ صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ

يقولونَ : لا تَهْلِكُ !² .. و ها طالَ بي عَهْدُ

أنا وارثُ النَّياتِ، جَدِّي هُنا بَكَى

فَأُنْبَتَنِي الدَّمْعُ الَّذِي ذَرَفَ الجُدُّ

أَرُشُّ عَلَى عَيْنِ الحَلِيِّينَ حَفَنَةً

مِنَ الضَّوءِ كِي تَشْفَى بِهَا الأَعْيُنُ الرُّمْدُ

و عَمَّا قَلِيلٍ لِي حَفِيدٌ مُؤَجَّلٌ

إِلَى دَمْعَةٍ حَمراءَ ما ذُرِفَتْ بَعْدُ

و لِي نَجْمَةٌ تَاهَتْ مِنَ الحُلْدِ عُمرُهُ

لِأَمْنَحَها عُمرِي فَعُمرِي هُوَ الحُلْدُ

² في المعلقين جاءت "وقوفاً بها صحتي".

لَوْعَةُ الْأَشْجَارِ

(البسيط)

حَتَّامَ شَكُّكَ فِي غَيْمِي وَ فِي مَطَرِي

أَفَدَّ مِنْ قُبُلٍ أَمْ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ؟

وَ فِيمَ خَوْفِكَ مِنْ قَوْلِ الْعَوَازِلِ لِي :

هَامَتْ فَهَمَّتْ بِهِ مِنْ دُونِهَا حَذَرٍ ؟

أَخَائِفُ أَنْتَ مِنْ تَفْتِيحِ لَيْلِكَ

بِذِي الْقِفَارِ الَّتِي شَاخَتْ مِنْ الْحَذَرِ ؟!

بَلَى ، لَقَدْ غُلِقَتْ أَبْوَابُ مَمْلَكَتِي

وَ الْبَحْرُ يُغْرِي مَخُوفَ الْمَوْجِ بِالذُّرْرِ

فَقُلْ لِفَلَّاحِ هَذَا الْحُبِّ فِي شَفَتِي :

فَجَرِّ مِيَاهِي عَلَى الظَّامِي مِنَ الثَّمَرِ

تُعِدُّ إِلَى الْبَجَعِ الْمَحْمُومِ مِنْهُنَّ

فَمُذْ تَمَنَّعَتْ عَنْهُ وَهُوَ لَمْ يَطِرْ !

*

يَا مَنْ شُغِلَتْ عَنِ الْأَمْطَارِ فَأَنْكَدَرَتْ

بُحَيْرَةُ الْعُمَرِ - عِنْدِي - أَيَّ مُنْكَدَرٍ

مَا زِلْتُ أَنْظُرُ لِلْمِرَاةِ قَائِلَةً :

شُكْرًا لِمَنْ غَيَّبَ الْمِرَاةَ عَنْ نَظْرِي !

مِنْ أَدْمَعَ الشَّكِّ حَرَى حِينَ تَذَرِفُنِي

وَالشَّكُّ أَقْتَلُهُ مَا كَانَ فِي الْقَدَرِ !

كَمْ قُلْتُ : يَا نِي ! .. فَلَمْ يَأْتِ الَّذِي جَرَحَتْ

أَيَّامُهُ كُلَّ مَا خَبَّأْتُ مِنْ عُمْرِي !

وَمِثْلَمَا تَذْبُلُ الْأَشْجَارُ أَجْمَعُهَا

إِنَّ الْحَرِيفُ تَشَهَّى لَوْعَةَ الشَّجَرِ

نَذَرْتُ عَاماً فَعَاماً فِي مَحَبَّتِهِ

و ها هَرَمْتُ فِلا غِيمي و لا مَطَري !

القطار

(المنسرح)

كانوا و كانَ القِطارُ فارتحلوا
ها قد أضعتَ الفَجْرَيْنِ يا رَجُلُ !
لأَرْبَعِ قَدْ مَضَيْنِ في عَجَلٍ
أَرَقَّتْ عَيْنِكَ و الهوى خَضِلُ
لكنَّهُمْ يا نَدِيمَ قَافِيَةٍ
بِرَشْفِ خَمْرِ الكلامِ ما ثَمِلُوا !

*

شاخَتْ لِفَرَطِ الحنينِ طاوِلَةٌ
ياما عليها نِقَاشاً انفعِلوا
و فَرَّتِ الذِّكْرِياتُ مِنْ جُدُرِ

لَا قُبْلَةَ خَلَفَهَا وَ لَا بَلَلُ

كَأَنَّهَا لَمْ تُؤَارِ كُلَّ هَوَى

يَوْمًا، وَ لَا طَالَ خَلَفَهَا الْغَزْلُ !

وَ الشَّارِعَانِ اللَّذَانِ قَدْ شَرَبَا

ظِلَالِ كُلِّ الْعُشَّاقِ إِذْ دَخَلُوا

عَلَيْهِمَا، أَبْكِيَا ظِلَاهُمَا

أَنَّ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ رَحَلُوا !

*

وَ الْآنَ هَا أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ

حَرَّانَ حَرَّ الْقِطَارِ يَنْتَقِلُ

تَرْنُو إِلَيْكَ الْأَشْجَارُ مُشْفِقَةً

يَكَادُ فِيهَا الْخَرِيفُ يَشْتَعِلُ

شَيْبًا، فَتَجْرِي لِكُلِّ نَاحِيَةٍ

مُرُّوا عَلَيْهَا، تَكَادُ تَقْتَتِلُ

حَتَّى مَعَ الطَّيْرِ إِذْ يَحْطُّ عَلَى

جَبِينِهَا مُجْهِدًا لَهُ أَمْلٌ !

*

مَرَّ قِطَارُ الْأَحْلَامِ فِي مُدُنٍ

كَمْ قُلْتُ أَيْ فِيهِنَّ أُحْتَفَلُ

و يَوْمَ حَانَتْ مُحْطِّي ضَحِكَتْ

و "فَاجَأْتَنِي بِأَنَّهَا طَلَلُ" ! ³

³ في البيت الأخير إشارة إلى بيت للشاعر محمد البغدادي يقول : و من إليها قطعنا العمر
نحسبها مدينةً فاجأتنا أنها طللٌ !.

عَانَقْتُ ظِلَّكَ

(البسيط)

عَانَقْتُ ظِلَّكَ حَتَّى خِلْتُهُ نَطَقًا

و قُلْتُ : كوني على آثارِهِ عَبَقًا

فَكَانَ وَجْهُكَ مِرَاةَ الْبُحِيرَةِ، إِذْ

كُنْتُ الْمُهَاجِرَ فِي مِرَآئِهَا غَرَقًا⁴

أُنَادِمُ الْوَتَرَ الظَّمَانَ يَحْمِلُنِي

إِلَى نَوَافِدِكَ الْوَلَهَى رُؤًى وَ نَقَا

كَأَنَّ كُلَّ الْمَعَانِي كُنَّ أَجْنِحَةً

مُرْفَرَفَاتٍ بِقَلْبِي كَيْفَمَا اتَّفَقَا

⁴ إشارة إلى (أسطورة نرسييس).

حَتَّى إِذَا افْتَرَعَ الْيَاقُوتُ مِلْحَ دَمِي

أَضَاءَ خَمْرٍ غِنَائِي حَيْثُمَا انْدَلَقَا !

*

هَا طِفْلُ أَوَّلِ فَجْرِ قُلْتُهُ غَبَشًا

يَشْفُ عَمَّا بَارِدَانِ الضِّيَا عَلِقَا

و هَا هُنَا غِيْمَةُ الْعَنَابِ أَعْرِفُهَا

يَا مَا لَثِمْتُ شِفَاهَ الْغَيْمِ فَاحْتَرَقَا !

أَنَا الَّذِي عَلَّمَ الْأَمْطَارَ مِهْنَتَهَا

و غِيْمَةً غِيْمَةً فَوْقَ الرُّؤْيِ بَرَقَا

لِيِ احْتِمَالَاتُ إِشْرَاقِي وَ لِيِ لُغَةٌ

أَجَلْتُهَا يَوْمَ جَاؤُوا وَائِقًا لَبَقَا

حَتَّى إِذَا خَيَّلُوا لِلْبَحْرِ فِتْنَتَهُ

أَلْقَيْتُ مَا يَمِينِ الْقَلْبِ مُؤْتَلَقَا

فَضَجَّتِ الرِّيحُ فِي الْأَكْوَانِ أَجْمَعِهَا :

هذا الذي حين نادى بجره انفلقا !

*

و رِعْشَةٍ يَلْدَعُ الْبُرْكَانَ آخِرُهَا

ظَلَّتْ تُفْتِشُ عَنْ بُرْكَانِهَا شَبَقًا

نَهْرٌ مِنَ الشَّهَقَاتِ الْبَيْضِ فِي فَمِهَا

لَمَّا جَرَى فَجَأَ الْفَلَّاحِ فَاخْتَنَقَا

فَكَيْفَ يَا قَارِبَ الْأَيَّامِ تَحْمِلُهَا

إِلَى احْتِمَالَاتٍ مَا لَا يَنْتَهِي قَلَقًا ؟

و مَا تَضِيءُ بِأَعْوَادِ الثَّقَابِ إِذَا

أَضْحَتْ جَمِيعُ فِضَاءَاتِ الْمُنَى نَفَقًا ؟!

*

و أَنْتِ يَا خَشْيَةَ الْأَشْجَارِ إِذْ عَلِمَتْ

أَنَّ الْخَرِيفَ نَدَى أَوْرَاقِهَا رَمَقًا

كَمْ انتَظَرْتَ نَبِيَّ الْبُوحِ حَشْرَجَةً

خضراء تجترح الأوجاع و الأرقا
و كم أشحت عن المألوف وجه دمي
فما تكلف نجواه و لا اختلقا

*

عانقت ظلك حتى خلته نطقا
و قال : كوني فإن الظل قد عشنا !

القصيدةُ الرّماذ

(تفعيلة الرجز)

عيناكِ نجمتانِ تلهوانِ بالمدى
و بطّتانِ تلعبانِ بالمياهِ في جداولِ الهدى
فتطفوانِ دمتينِ فوقَ شمعةٍ من اشتهاؤِ
في كفِّ عابرِ الجبالِ و البحارِ و الفضاءِ
كأثما الرّدى
و تضحكانِ كارتعاشةِ الطُّيورِ بالنّدى
و تعبرانِ مثلما عبرتِ دونما انتباهِ
فتغرقُ المياهُ بالمياهِ بالمياهِ
و يهرّبُ المطرُ !

*

كأنَّ فلاحاً ينادي ربَّةَ الحقولِ :

جودي عَلَيَّ يا مُنى الأشجارِ بالهطولِ

و باهمارِ وردتينِ مِنْ دَمِ الشِّتاءِ

ليبدأَ الفلاحُ بالغِناءِ

و يقطفَ الأعذاقَ و الثَّمَرِ

يا ربَّةَ الثَّمَرِ !

*

يا حاجةَ الغريقِ للهواءِ

يا لَهْفَ الوحيدِ في البِداءِ للقَمَرِ

أتذكُرِينَ ذاتَ حَظٍّ كُنْتَ تعبرِينَ ؟

و كانَ لَيْلَكَ يَمُوجُ حَيْثُ تعبرِينَ

و أعيُنُ الشِّتاءِ

تحاولُ البُكاءَ

و عابرُ الطَّرِيقِ كانَ مُطلقاً خيالَه

و كَانَ إِنْ أَتَى تَعَثُّراً لِيُوحِشَهُ الْمَكَانُ

و دَغْدَغَ الْمَكَانَ بِالضَّجَرِ

تَدْمَعُ بُرْتُقَالَةً

حَتَّى إِذَا أَوْقَفْتِهِ :

"مِنْ أَيْنَ يَعْبرُونَ" ؟

و كُنْتَ أَنْتِ تَعْلَمِينَ "أَيْنَ يَعْبرُونَ"

عَبَرْتُمَا مَعاً عِبُورَ طَائِرِينَ طَائِرِينَ

لِلوَعَةِ الْقَدَرِ !

*

تُرى أَتَذْكُرِينَ ؟

أَتَذْكُرِينَ مَرَّةً مَرَضْتَ أَنْتِ فِيهَا ؟

أَوْ رُبَّمَا (قَالُوا : مَرَضْتَ) ⁵ أَنْتِ فِيهَا

⁵ أَوَّلِ قَصِيدَةٍ كَتَبْتُهَا فِيهَا وَ كَانَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهَا مَرِيضَةٌ، أَمَّا الْمَفَارِقَةُ الَّتِي حَصَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فَسَيَّأَتِي ذَكَرَهَا فِي الْقَصِيدَةِ.

و لم يَكُنْ يَعي

إِلَّا الضَّمِيرَ "أنتِ" لم يَكُنْ يَعي

فَعَشَّشَ الْوَجْدُ بِرَاحَتِهِ

و عَرَّشَ الْفَقْدُ بِجَانِبِهِ

و جئتِ أنتِ .. جئتِ بعدما مضى

يُعَاتِبُ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ !

و كنتِ تضحكين :

يا "مَقْلَبًا" أردتُ أَنْ يَشغَلَهُ لِحِينُ

لكنَّهُ كَفَرَ !

*

تُرى أَتذكرين ؟

بكيَتْ مَرَّةً بكيَتْ و الْفُرَاتُ

يبكي نديمَهُ الجَدِيدَ حيثُ باتُ

و حيثُ ظَلَّ لِلْعِشَاءِ يَجْرُعُ الرَّدَى

و يحملُ الفناءَ مُجْهِدًا

و أهلهُ عليهِ باحثينَ يندبونُ

يكونهَ معي

حتَّى إذا نفضتُ مَدَمَعي

رأيتُ ما رأيتُ مِنْ كآبةِ الشَّجَرِ

على ظِلَالِ راحِلٍ أضاعَ رونقهَ

و التَّهَرُّ في عينِ الورى :

حبلٌ و مشنقهَ !

ياما لعبنا لعبةً و كانَ راجحا

و كنتُ و الأولادُ مِ الفتى نغازُ

نختلقُ الأعذارَ كي نختلقَ الشَّجارُ

حتَّى يعودَ تحتَ نخلةٍ في الحَيِّ نائحا

و يُرجِعَ الكُرَاتِ و الحَجَرَ !

*

هو الحنين في دمي يخطُّني حكاية

إن شئتِ فاقريها

أو شئتِ أن تكون ذاتَ وطئةٍ أقلَّ فاحملها

للنَّومِ, قبل النَّومِ, بعد النَّومِ و احلمِها

ليورقَ الفراشُ بالرُّوى

و تنضحَ الأحلامُ بالفكر !

*

و يضحكُ المدى :

يا أيُّها المجنونُ في هواها

و الأمرُ الأحلامَ و الأفكارَ أن تراها

عَجَلْ بما تشاءُ للهواءِ من طلاءِ

و درِّبِ الطِّفلَ المدى على البكاءِ

فَقَدْ يكونُ ما تشاءُ أنتَ أو يكونُ

ما لا تشاءُ نجمتانِ تلهوانِ بالمدى

و بطَّانٍ تلعبانِ بالمياهِ في جداولِ الهدى

فتطفوانِ دمعَتينِ فوقَ شمعَةٍ من اشتهاءِ

و تكتبانِ جاءِ

لِلْعُمَرِ جاءِ ذاتِ حُبٍّ يَحْمِلُ النَّدَى

ملا الفؤادَ مِنْ شَذَا هَواهُ

لكنَّه مِنْ فرطِ ما مَلاهْ

بُحَيِّ انفَجَرَ !

المَذْنَفُ

(الطويل)

أَرِحْ قَمَحَ عُيَّابٍ يُجَافُونَ مِنْجَلَكَ
و لا تَلُمِ الْفَلَّاحَ إِنَّهُ هُوَ أَجَلَكُ
فَقَبْلَكَ تَاهَتْ فِي الْهَدِيلِ يَمَامَةٌ
مَا ذِئْبُهَا مَا قُلْنَ لِلْفَجْرِ : هَيْتَ لَكَ !
و بَعْدَكَ رَشَّ اللَّيْلِ مَوَالُ مُدْنَفٍ
نَهَايَتُهُ جُنَّتْ لِتَبْلُغَ أَوَّلَكَ
كَأَنَّ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ وَ أَطْلَقْتَ
شِتَاءَاتُهُ غَيْمًا مِنَ الشُّوقِ ظَلَّلَكَ
أَمَاطَ لِثَامَ الْخَوْفِ عَنْ وَجْهِ مَنْ بَكَى
حَمَامًا خَرِيفِيَّ الْكَآبَةِ بَلَّلَكَ

فَأَشْفَقْتَ الْأَطْوَادُ إِذْ مَا تَحَمَّلْتُ

أَمَانَاتَهَا حِينَ التَّوَلَّيْتُ حَمْلَكَ !

*

و إِذْ كَانَ وَجْدِي ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا

وَحِيدَيْنِ فِي غَارٍ بِرُؤْيَاهُ عَلَّلَكَ

طَرِيدَيْنِ مِمَّنْ أَخْرَجُوكَ مِنَ الرُّؤْيَى

و أَعْطُوكَ بُرْكَانًا إِلَى الشَّيْبِ أَدْخَلَكَ

و مَا بَيْنَ تَحْنِيطِ الْأَمَانِي وَ دَفْنِهَا

تَعَثَّرْتَ بِالذِّكْرِ فَآثَرْتَ مَقْتَلَكَ !

*

لَكَ اللَّهُ يَا قَلْبًا إِذَا مَا هَوَى هَوَى

و حَطَّمْ أَضْلَاعِي لِكَيْ أَتَأَمَّلَكَ !

أَمْضِينَ عُمْرَ الْمَاءِ

(مجزوء الكامل)

عَلَّمَتْنِي إِنْكَارَ بَذْرِي

و شَرِبْتَ كَالْأَنْهَارِ نَذْرِي

و مَنْحَتْنِي لُغَةَ الْجِبَالِ الْغَايَاتِ بِكَفِّ بَحْرِ

أَجَلَّتْنِي وَ كَبُرْتَ وَحْدَكَ رَيْثَمَا أَثْنَتْ كِبْرِي

و أَتَيْتُ جَرِي الرِّيحِ أَجْرِي

و أَلَوْكُ آلَامِي وَ شِعْرِي

و التَّبَعُ يَمْضَعُ فِي أَعَالِي الْقَلْبِ أَوْجَاعَ (الْمَعْرِي) !

فَالْخَائِفُونَ مِنَ الْكَمْنِجَةِ كُلُّهُمْ مِرَاةُ دُعْرِي

و الْبَاحِثُونَ عَنِ الْحَقِيقَةِ كُلُّهُمْ آبَاءُ جَمْرِي

شَرَبُوا مِنَ الْغَبْشِ الْآخِرِ وَ أَشْعَلُوا بِالضُّوءِ فَجْرِي

و تعتقوا بين المنافي العاطفية مثل خمر
حتى إذا احتلم الخريف تشدقوا طعناً بظهري
موتاً بطيئاً فانكفأت و مجت الأشجار ثاري
فبأي آلاء المدائن و الردى أعلنت كُفري ؟
و لأي غيمٍ أحمر دَمِثِ الشتاء هجرت هجري ؟
و جريت ألثحف الغناء كنفتين بني فقري ؟
و أنادِمْ الأمطار شمعاً ألثغاً بوقارٍ قطر ؟
و أقول للأرض اليباب : تكحلي بدماءٍ دهري ؟
فلي الغناء المخملي يهدني و يطيل ذكري
و أنا المهاجر في البحيرة و الطريد بألفٍ عُذرٍ
و أنا المبشّر بالطواحين التي دارت بمكرٍ
لتحوك آلاف الملاحِم فوق أطلالي و قברי
و تُخضب الحُلُم الثُّرابي الملامح بالتعري !

*

واهٍ على دُلُو الكلام و حشراتٍ كُنَّ بُئري
أَمْضِينَ عُمَرَ الماءِ كي يبحثنَ عن أشلاءِ عُمري
فَوَرِثْنَ آلاَفَ القبائلِ و الرِّيحِ .. و كانَ يَجْري !

في غِيَابَةِ الحُبِّ⁶

(الجزء الأول)

(مجزوء الوافر)

-1-

هُنَاكَ هُنَاكَ شَرَقَ القَلْبِ ثُمَّ لَظَى و ثُمَّ فُرَاتُ
و ثُمَّ غَمَامَةٌ خَضِرَاءُ تَطْعَنُ وَحِشَةَ الفَلَوَاتِ
هُنَاكَ وُلِدْتُ حَيْثُ العَاشِقُونَ جَمِيعُهُمْ أَمَوَاتُ !

⁶ البنية الوزنيّة التي كتبت عليها هذه القصيدة كتب عليها آلاف الشعراء قبلي و المئات بعدي و لعلّ أشهر قصيدة قرأتها على هذه البنية الوزنيّة هي قصيدة (الليالي الأربع) للشاعر المصري أحمد بخيت.

-2-

رَفَضْتُ تَجِيءُ بِالْمَقْلُوبِ لِلدُّنْيَا .. يَقُولُ أَبِي

و لَمْ تَبْدَأْ شَهيقَكَ بالبُكَاءِ الْمُعلنِ التَّعَبِ

فَجِئْتَ مُكَمَّلًا لِلنَّخْلِ وَ الْبَرْدِيِّ وَ الرُّطَبِ

-3-

أَجَلَ مَنْ أَطْوَلَ النَّخْلَاتِ قُدَّتْ قَامَتِي / النَّخْلَةَ

وَ كَانَ الْحُبُّ - جَلَّ الْحُبُّ - يَفْعَلُ فِي دَمِي فِعْلَهُ

فَحَيْثُ مَشَاعِرِي خَفَقَتْ أُعْمِرُ لِلْهَوَى قِبْلَةً

-4-

وَ كُنَّا فَوْقَ ذَاكَ الْبَيْتِ نَفْتَرِشُ الْمُنَى وَ نَنَامُ

نُطَارِدُ نَجْمَةَ الْأَحْلَامِ كَيْ لَا تَهْرُبَ الْأَحْلَامُ

وَ حِينَ تَقُولُ : دَعْ ثَوْبِي ! .. أَدَاعِبُ رِيَشَ كُلِّ حَمَامٍ !

-5-

لَقَدْ كَابَدْتُ وَجَدَ الْحُبِّ مُنْذُ ربيعِي العَاشِرِ
و كَانَتْ جَارَةً الْأَحْلَامِ تَدْعُونِي : "الفتى الماكِرُ"
فَهَلْ عَلِمْتُ عَنِ الْعَشْرِينَ أَوْ عَنْ لَوْعَةِ الشَّاعِرِ !؟

-6-

و كَالطُّوفَانِ كَانَ الْعُمُرُ وَ الْأَحْبَابُ مِنْ قَشٍ
رِيحُ تَحْمِلُ الْأَطْيَارَ مِنْ عُشٍّ إِلَى عُشٍّ
تُعَلِّمُهُمْ بَأَنَّ النَّخْلَ لَا يَرْبُو عَلَى عُشٍّ

-7-

أَنَا الثَّانِي الَّذِي فَارَقْتُ عَائِلَةَ الْهَدِيلِ الْعَضُ
و مَنْ أَهْدَرْتُ عُمَرَ النَّايِ بِالْدَّمْعِ الَّذِي يَرْفُضُ
بَنِيَّ الْحُبِّ فَجْرًا لِي وَ قُلْتُ : أَيَا ظِلَامُ انْقَضُ !

-8-

و ذَاتَ هَوًى - بِلَا وَعْيٍ - دَخَلْتُ لِحَنَّةِ الشُّعْرَاءِ
تَلَقَّتْ قَلْبِي الظَّمَانُ، ذَا نُحْرٍ، وَ ذَلِكَ مَاءٌ

و حينَ وَقَفْتِهِ بِالْجُرْفِ قَالَ : أُحِبُّ .. ثُمَّ أَضَاءَ !

-9-

أُحِبُّكَ ! .. فَلْيَقُلْ أَهْلِي : تَعَدَّبَ فِيكَ أَوْ رَاهَقَ

و ضَيَّعَ فِي مَدَى عَيْنِكَ كُلَّ غُرُورِهِ الْوَائِقِ

عُرُوجاً فِي مِرَاقِي الشَّعْرِ أَدْرَكَ بُرْجَهُ الشَّاهِقَ

-10-

أُحِبُّكَ ! .. فَلْيَقُولُوا : كَانَ قَبْلَ الْحُبِّ أَعْنَدَ شَابٌ

فَلَمَّا كَابَدَ الْأَشْوَاقَ وَ الْحَرِمَانَ طِفْلاً شَابٌ

تَحَمَّدَ قَلْبُهُ شَوْقاً وَ مِنْ جَمْرِ التَّمَنُّعِ ذَابَ

-11-

لِمَاذَا لَمْ أَذُبْ إِلَّا عَلَى جَمَرَاتِ أَهْدَابِكَ ؟

لِمَاذَا لَمْ يَجِدْ خَطْوِي طَرِيقاً دُونَمَا بَابِكَ ؟

لِمَاذَا لَمْ أُضِئْ حَتَّى حَظَيْتُ بِنَعْضِ إِعْجَابِكَ ؟!

-12-

لَأَنَّكَ حَيْثُمَا تَمْشِيْنَ تَمْشِي خَلْقَكَ الْأَشْجَارَ !
أُحَدِّقُ فِيكَ مُشْرِقَةً وَ مِنْ نَظَرِي عَلَيْكَ أَغَارُ !
لِمَاذَا لَمْ يَجِدْنِي الْعِيدُ حَتَّى قَلْتِ : يَا مَخْتَارُ ؟!

–13–

مَعًا نَحْنُ ابْتِكَارُ الْعَنْدَلِيبِ لِلْحَنِهِ الرَّائِعِ
و نَحْنُ حَنِينُ أَرْغِفَةِ الدُّعَاءِ إِلَى فَمِ الْجَائِعِ
بِنَا تَتَوَهَّجُ الْخُطُوتُ حَتَّى يَرْكُضَ الشَّارِعُ

–14–

عَجِيبُ قَلْبِي الرَّقْمِيُّ حِينَ دَخَلْتِهِ أَوْرَقَ
كَأَنَّكَ كُنْتَ حَرْفَ النُّونِ فِي الشَّعْرِ الَّذِي يَشْهَقُ
فَنَادَانِي رَجَالُ النَّحْوِ : يَا مَفْعُولَهَا الْمُطْلَقُ !

–15–

مَجَانِينُ هُمُ الْعُشَّاقُ وَ الْأَحْبَابُ رَمِيَةٌ نَرَدُ
فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْوَدُّ رَمِيَّتَهُمْ وَ إِمَّا الْوَدُّ

إلهي! لَمْ أَكُنْ أَدْعُو لِحُبِّ مَا لَهُ مِنْ حَدٍّ !

-16-

و ما أُهديكَ ؟ .. مَنْحَرَهَا أَمْ الْأُذُنَيْنِ يَا لَوْلُؤُ ؟

بلى، أقرأُ غَالِيَتِي ضِيَاءُ الْعَيْنِ وَ الْبُؤْبُؤُ !

يَذُوبُ الْهَاتِفُ الْخُلُويُّ حِينَ تَقُولُ لِي : (تُؤُ تُوُ)⁷!

⁷ تُوُتُوُ : لم أجد رسماً أفضل للصَّوْتِ الَّذِي أعْنِيهِ.

في غَيَابَةِ الْحُبِّ

(الجزء الثاني)

(مجزوء الوافر)

-17-

خَوَاطِرُهَا تُعَلِّمُنِي كِتَابَةَ شِعْرِي الْعَالِي

فِيَا أَوْرَاقَهَا الْحَمْرَاءَ، يَا عَادِيَّهَا الْغَالِي⁸

دَعَانِي ! .. كِي أَتَوْهَ أَنَا بِرُبْعِ جَمَالِهَا الْخَالِي !

-18-

يَدَاكِ الْبَطَّتَانِ عَلَى يَدَيَّ ! .. أَأَدَّعِي الْعِفَّةَ ؟!

أَأُنْكِرُ كُلَّ هَذَا الْمَاءِ مُلْتَفِتًا إِلَى الضِّقَّةِ ؟!

لَكَ الْعِرْفَانُ يَا ثَمَرًا يُعَلِّمُ لَاعِبَ الْحِقَّةِ !

⁸ أهدتني ذات يوم دفترًا أنيقاً جداً أوراقه حمراء الإطار و كانت قد دَوَّنت فيه خواطر عما كان بيننا من حب.

-19-

تَمْنَعُ جَدُولُ النَّعْنَاعِ عَنْ ثَغْرِي فَكَانَ عِنَادُ
وَأَذْكُرُ كَيْفَ قَالَتْ لِي : أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْتَادَ
فَضَجَّتْ شَهْوَةُ الْأَمْطَارِ : قَبْلَ ! .. يَا ابْنَ عَمِّ الضَّادِ !

-20-

عَنِيدًا كُنْتُ كَالْأَشْجَارِ وَالْأَشْجَارُ لَا تَشْكُو
يَقِينِي أَنَّنِي فِي الْحُبِّ لَمْ يَجْلِدْنِي الشَّكُّ
وَلَمْ أَفْنُطْ مِنَ التَّوْحِيدِ يَوْمَ حَبِيبَتِي شِرْكُ !⁹

-21-

تَقُولُ حَبِيبَتِي الْخَجَلَى : أَيَا مَجْنُونُ يَكْفِيكَ
مُحَافِظَةٌ أَنَا .. لَكِنَّ قَلْبِي هَائِمٌ فَيْكَ
لِهَذَا يَا أَخَ الشَّرِيَانِ كَيْفَ تَشَاءُ أُعْطِيكَ !

-22-

⁹ ذَكَرُ الشَّرِكِ هُنَا مِنَ الْمَجَازِ وَلَمْ يُقْصَدْ بِهِ سَوْءُ الْإِعْتِقَادِ مَعَاذَ اللَّهِ.

و ما بِيَدَيَّ حِينَ تُجْنُ ؟ ما بِيَدَيَّ حِينَ تُجْنُ ؟!
عَنِيدُ أَنْتَ، مُلْتَهَبُ الْعَوَاطِفِ، طَاعِنُ فِي الظَّنِّ
و لا ثوبٌ لَدَيَّ يَشَاءُ إِنْ شِئْتَ الرِّيحَ و إِنْ (...) !

-23-

فَقُلْتُ لَهَا : و مِمَّ أَتُوبُ ؟ مِمَّ أَتُوبُ يَا قَمْرِي ؟!
و لَمْ يَعْرِفْ فَمُ الْكَرْوَانِ مَا تَرْيِمُهُ الْوَتَرِ
و هَا خَقَّافُهُ الْمَقْدُودُ يَامَا قُدَّ مِنْ دُبُرٍ !

-24-

و تَحْلُمُ كَيْفَ يَجْمَعُنَا الْهَوَى و نَطِيرُ فِي الْحَفْلَةِ
و أَحْلُمُ كَيْفَ تَكْتُبُهَا شِفَاهِي قُبْلَةً قُبْلَةً
و كَيْفَ تَكُونُ أُمَّ (فُلَانٍ) طِفْلاً كَانَ أُمَّ طِفْلَةٍ !

-25-

و كيف يَضُمُّنا بَيْتٌ و يَجْمَعُنَا بِلَا رَيْبٍ
أنا و فراشَةُ الكَلِماتِ في الماضي و في الغَيْبِ
و كيفَ مَعاً لِفَرْطِ الحُبِّ لا نَدري عَنِ الشَّيْبِ

-26-

يُبَاغِتُنَا المَشِيبُ مَعاً و يَطْرُقُ بابَنَا العُمُرُ
فَنَرنو نَحْوَ دَرْبِ الطَّيِّشِ .. يُنْكِرُنَا ! .. فَنَعْتَذِرُ
بِبُحَّةِ طاعِنٍ في الحُبِّ : ها أولادُنَا كَبَرُوا !

-27-

و آهٍ آهٍ .. كَمْ حُكْنَا خُيوطَ الفَجْرِ مِنْ عَدَمٍ
و لَمْ نَعْلَمْ بما قَدْ حِيكَ مِنْ هَمٍّ و مِنْ أَلَمٍ

و أَنَّ الحُلْمَ قَدْ يُغْتَالُ قَبْلَ ولَادَةِ الحُلْمِ !

-28-

ففي مَتْنٍ مِنَ الأمواجِ ضَاعَ الحُلْمُ في الهامِشِ

فَلَمْ يُفَرَّ مِنْ الأَيَّامِ أو مِنْ بحرِها الطَّائِشِ

و عندئذٍ أنا أدركتُ كُلَّ عذابِ (جلجامِش) !

-29-

لَأَيِّ لَمْ أَخُضْ في الحُبِّ مَعْرَكَةَ الهوى الشَّطْرَنْجِ

و ما أطفأتُ نارَ الشَّوْقِ و الذِّكْرِ بِقَلْبٍ ثَلَجِ

غريباً عشتُ في الدُّنيا كَأَنِّي عشتُ "تحت البنج" !

-30-

أُخْطِطُ وَجْهَكَ الْوَضَاءَ طِفْلَ الْمَاءِ بِالطَّبْشُورِ

عَلَى أَلْوَحِ أَيَّامِي الَّتِي حَتَّى أَرَاكَ تَدْوِرُ

وَإِذْ يُمَحَى - عَلَى عَجَلٍ - يَفُورُ بِقَلْبِي التَّنُّورُ !

في غَيَابَةِ الْحُبِّ

(الجزء الثالث)

(مجزوء الوافر)

-31-

نُحِبُّ إِذَنْ وَ نَشْرَبُ خَمْرَةَ الْحَرَمَانِ ثُمَّ نَدْوَحُ
و ما في الأرضِ مِنْ حُبِّ فَهَلْ نَلْقَاهُ فِي الْمَرِيخِ ؟
أَمْ إِنَّ الشَّعْرَ شَاءَ بَأْنُ نَمُوتَ لِنَدْخُلَ التَّارِيخُ ؟!

-32-

وحيداً في مقاهي الحُبِّ يَرْشُقُ وَجْهِي النَّادِلُ
بَأْنُ : "لَيْلَاكَ قَدْ رَحَلَتْ !" ، و ينظرُ نظرةَ العاذِلِ
و في الشَّرِيانِ تَعْتَذِرِينَ : دَعُهُ ! .. إِنَّهُ جَاهِلُ

-33-

أنا عيناكَ فانظرُ بي إلى مرآةِ أحلامِكَ

غداً يَغْتَالِي النُّقَادُ فِي تَأْوِيلِ إِهْـمَامِكُ

أُحِبُّكَ أَيُّهَا الْغَيْرَانُ تَفْدِينِي بِإِعْدَامِكُ !

-34-

أُحِبُّكَ أَيُّهَا الْغَيْرَانُ تُخْفِينِي عَنِ الْقَارِي

لِيَدْخُلَ عَالَمَ الْإِبْدَاعِ مِنْ تَأْوِيلِهِ الْخَاطِئُ

أنا حوريَّةُ الأعماقِ كيفَ أَجِيءُ للشَّاطِئِ ؟

-35-

فَقُلْتُ : أَشَاءُ أَنْ أَنَأَى بِحُجِّي عَنْ يَدِ التَّحْرِيفِ

طلبتُ مِنَ الْيَمَامِ الْحَلَّ .. أُرْشِدَنِي إِلَى التَّأْلِيفِ

فَجُنَّ غُرَابُ عُدَّالِي وَ حَدَّثَنِي عَنِ التَّكْثِيفِ

-36-

يُعَلِّمَنِي أَخِي اللَّيْمُونُ مَعْنَى فِطْرَةِ اللَّيْمُونِ

و معنى أَنْ يَكُونَ الدَّيْكَ خَاتِمَةَ الْهَوَى وَ يَكُونُ (...)

و عِنْدَ نَهَايَةِ التَّجْرِيحِ أَضْحَكُ قَائِلاً : مَجْنُونُ !

-37-

وقفتُ على طريقِ الشُّركِ و الإلحادِ و الرّهبةِ

و كدتُ أموتُ مُنتَحِراً على بَوّابةِ الرّغبةِ

فَمَنْ إلهي الرّحمنُ بالتّوحيدِ و التّوبةِ

-38-

حَمَدْتُ إلهي التّوّابَ ذا الآلاءِ و المِنَّةِ

و قلتُ: اللعنُ للشَّيْطانِ إِنَّ كَلامَهُ فِتْنَةٌ

تُرى هل يَدْخُلُ العُشَّاقُ - كالشُّهداءِ - للجنّةِ ؟

-39-

يقول أبي -نبيُّ الحبِّ- : ما أدراك ؟ .. ما أدراك ؟!

إذا ما شئتَ أَنْ تحظى بِوَرْدِ عِطْرِهِ أغْرَاكَ

تَجَلَّدْ !، و احْتَمِلْ طُولَ الطَّرِيقِ و مِهْنَةَ الْأَشْوَكَ !

-40-

تَطُولُ دُرُوبُ أَحْلامِي و لَكِنِّي أَحَاوِلُهَا

لَأُبْلَغَ جَنَّةً فِي الْحُبِّ كَمْ تَجْرِي جَدَاوِلُهَا

إِلَهِي ! .. لَا تُحَلِّ الْحُبَّ أَيَّاماً تُدَاوِلُهَا !

-41-

لَأَنِّي كُلَّمَا أُبَحِرْتُ فِي عَيْنَيْكَ أُغْضِبُهَا

فَتَبْكِي دَمْعَةً - كَذِباً - وَ أُخْرَى لَا أُكَذِّبُهَا

وَ كِي يَرْضَى عَلَيَّ الدَّمْعُ أَمْحُوهَا وَ أَكْتُبُهَا !

-42-

قَرَأْتُ جَرِيدَةَ الْأَيَّامِ لَمْ أَعْثُرْ عَلَى الْفَرَحِ

إِلَى أَنْ جِئْتُ بِالْأَنْهَارِ وَ الْأَعْنَابِ وَ الْقَدَحِ

فَلَمَّا غَبَتْ مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا كَثْرَةَ الْفُرَحِ

-43-

وَ هَا أَنَذَا يَمُرُّ الْعَامُ تَلَوَّ الْعَامِ حَقَّقَ جَنَاحَ

وَ أَجْرِي فَوْقَ جَمْرِ الْعُمْرِ عَلَيَّ لَحْظَةً أُرْتَاخَ

فَهَلْ تَجْرِينَ ؟ هَلْ تَجْرِي بِمَا لَا تَشْتَهِينَ رِيَاخَ ؟!

-44-

على نَعَمِ انتظاركِ أَنْتِ أَشْرَبُ قَهْوَةَ الْوَقْتِ
يَطُولُ اللَّيْلُ فَالنَّجْمَاتُ مُطْفَأَةٌ إِذَا غَبَتِ
أَنَا فِي غَرَفَةٍ أُخْرَى تُعْنَوْنَ غَرَفَةَ الْمَوْتِ!

-45-

أَرَى أَنِّي أَدْرْتُ الْعَيْنَ ذَاكِرَةً لِكُلِّ مَكَانٍ
هَنَا مَرَّتْ فَمَرَّ شَدًّا هَنَا ضَحِكَتْ فَرَفَّ كَمَا نِ
هَنَا مَرَضَتْ فَأَضْحَى الْكَوْنُ أَجْمَعُهُ بِلَا أَلْوَانِ

-46-

لِيَالِينَا الَّتِي عِشْنَا عَلَى الضَّحِكَاتِ وَ الدَّمْعَةِ
تُكْفِّرُ عَنْ ذُنُوبِ اللَّيْلِ وَ الْفُقَرَاءِ وَ الشَّمْعَةِ
لِيَالِيِ الْمَضِيئَةِ فِيكَ كُلُّ غَدٍ لَهَا جُمُعَةٌ !

-47-

ثلاثاء رمادي الكمنجة مُغمض العينين¹⁰

أليهم، كم طلى جذرانَ ذاكرتي بلونِ البينِ

كفى ! .. فالأربعاء الآن يأتي قبله الإثنين !

-48-

لماذا أدعي أنني بلا رؤياك أنتِ أعيش ؟!

و بي مليون عاطفة إذا ذكروا هواك تجيش

تطيرُ إناثُ أقداري أمامَ رياحها كالريش

-49-

و لا يبقى معي إلا هيامي فيك و الذكرى

و يدري الحاضرُ العَبَثي لكن قادمي أدرى

¹⁰ الثلاثاء الذي فارقتها فيه.

فما للنَّهرِ في عَيْنِي إِلَّا ذلِكَ المجرى !

-50-

طويلٌ عُمُرُ هذا اللَّيلِ، ليلُ الضَّائعينَ بَدِيءُ
يخافُ عليَّ مِنْ فَجَرٍ يباغِتُ وَحْشَتِي وَ يَجِيءُ
يُؤرِّقُنِي، أُورِّقُهُ، كِلانا قاتِلٌ وَ بَرِيءُ !

-51-

لماذا كُلُّما أصغيتُ للمِدياعِ أبكيك ؟
وَ أذكرُ قهوةَ العُشاقِ قبلَ تَبَجُّحِ الدِّيكِ
"أنا لِحَبِيبِي" كم غَنيتَ يا (فيروزُ) يكفيك ! ¹¹

-52-

يَدُ ضَوْئِيَّةِ التَّكْوِينِ تَحْمِلُ كُوبَ قَهْوَتِهَا

¹¹ كانت كثيراً ما تترنم بهذه الأغنية عندما نتاجى.

و أنفٌ يشتهيهِ الثَّلْجُ إذْ يُطلى برغوتها

و طفلٌ باذِخُ التَّحْنانِ يَغْبِطُ كُلَّ إِخْوَتِها

—53—

بلى، أدري بأنَّ اللهَ يَجْمَعُنَا إذا قَدَّرَ

و أدري أنَّ لي غَيْمًا لغيرِكَ أنتِ ما أَمْطَرَ

لأجلِ غَدٍ أَخْبِي كُلَّ هذا البرقِ في الدَّفْتَرِ

—54—

تعالِ يا عُقودَ الشَّيْخِ، أَلْقِني بهذا الجُبِّ

خُذِي دَمِي الذي تبغينَ و اتَّهَمِي البريءَ الذَّنْبِ

يميناً بالتي أَحَبَبْتُ لَنْ تَبَيِّضَ عَيْنُ القَلْبِ !

اعترافاتُ لاجيِّ في الرِّيحِ

(البسيط)

شُكْرًا لِعُمُرٍ مِّنَ الْخِيَابِ عَلَّمَنِي

أَلَّا أُعْقِرَ غَيْمَ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ

جَرَحْتُ مِنْهُ أَكُفَّ الْفَجْرِ أُغْنِيَهُ

تُلْغِي مَقُولَةً أَنَّ الْعِشْقَ بِالْأُذُنِ ¹²

فَرَّاحَ يَهْرُبُ مِنِّي تَارِكًا دَمَهُ

شَمْعًا يَطُوفُ عَلَى نَهْرٍ مِّنَ الشَّجَنِ ¹³

نَذَرًا لِّكُلِّ مَرَايَا الْمَاءِ، مَثْدَنَةً

نَادَتْ : أَيَا مَوْعَدَ اللَّبْلَابِ لَا تَحِنِّ !

¹² إشارة إلى قول بشار بن برد : يا قومُ أذني لبعضِ الحَيِّ عاشقَةٌ / و الأذنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحياناً.

¹³ إشارة إلى "شموع الخضر".

لولا فداحةُ جُرْحِي ما انشغلتُ بهِ

و لا أَرَقْتُ ظِباءَ العُمَرِ يا عَدَنِي

*

يكادُ يَنفَدُ حَبْرُ الوَقْتِ مِنْ رِئِي

أنا الهديلُ بلا عُشٍّ و لا فَنٍّ !

كم انتظرتُ نبيَّ الوَرْدِ حَشْرَجَةً

و إخوةَ الشَّيْحِ بَيْنَ اللّهِوِ و الفِتَنِ !

و كم جريتُ إلى غِيمٍ يكونُ هَوًى

و ها أنا الآنَ أجري حيثُ لَمْ يَكُنْ !

ظمآنَ، و الشَّهَقَةُ الحمرَاءُ قُبَعَةً

تقاذفَتْها أيادي الرِّيحِ في المَدُنِ !

*

قَدْ عَرَّشَ الوَجْدُ في قَرْمِيدِ أَدْعِيَتِي

و عَشَّشَ الفَقْدُ في دَوَّامَةِ الوَهَنِ

حَتَّى امْتَحِنْتُ بِظِلِّي كَيْفَ آمَنُهُ
وَكُلَّمَا ضِيعْتُ فِي الْأَحْلَامِ غَادَرَنِي
وَكُلَّمَا جِئْتُ مَخْمُورًا بِأَمْنِيَّةٍ
غَنَيْتُ أَلْفَ نَشِيدٍ عَنْ رَبِّي وَطَنِي
كَأَنِّي لَا جِئْتُ فِي الرِّيحِ أَجْمَعِهَا
مَنْ فَرَطَ مَا تَتَبَاهَى الْأَرْضُ بِالْإِحْنِ

*

شَرُّ الْبَلِيَّةِ - يَا قَلْبِي - وَ أَفْجَعُهَا
أَنْ تَتْرَكَ الْجُبَّ عَبْدًا دَوْمًا ثَمَنٍ
وَأَنْ تَكُونَ عَلَى الْعَشْرِينَ مُكْتَهِلًا
تُرْمَى بِعَيْنِ رِفَاقِ الْعُمَرِ بِالْيَفَنِ
وَأَنْتَ تَعْلَمُ .. لَا بَحْرٌ فَتَشْتُمُهُ
وَلَا إِلَهٌ لَكَ تَدْعُوهُ مُمْتَحِنِي¹⁴

¹⁴ إشارة إلى التَّحْدِي الذي أشعلَ غضبَ "إله البحر" في الأوديسة.

يا لشعة الطّين، خانَ العُمُرُ كَرَّكَرتي
طِفلاً، و لَمَّا غلبتُ العُمُرَ لَمْ أَحُنِ !

عَنْ شِفَاهِ الْمَاءِ

(تفعيلة الوافر)

و ما معنى

خروجي مِنْ شِفَاهِ الْمَاءِ محمولاً على ظِلِّي

شريداً مُثْقَلًا بِالْبَحْرِ ؟ .. لا أدري !

و مَرَّ الثَّالِثُ المَخْدُوعُ يا عَرَّافَةَ الْعُمَرِ

فهاجَرَ مِنْكَ مُشْتَعِلًا إِلَى الْيَاقُوتِ

ليخشى البائعُ المجنونُ من عيني

فيرميني

على القطرانِ و الطَّيْنِ

و يأتي الشَّنْكَ / جَلَّادُ الْهُوَى الْأَوْهَامِ

يجلدُني هَوًى و أموتُ

و أصرُحْ أَنْ : أَحْيِيْنِي !

*

تَشَاءَبَتِ الْبَحَارُ وَ أَنْتِ تُفَاحَةُ

و مَا فِي الْبَحْرِ غَيْرُ الْبَحْرِ وَ الْمَوْتَى

كَأَنِّي ذَلِكَ الْبَحَّارُ

لَمْ أَجِدِ الْهَنُودَ الْحُمْرَ فِي الْأَدَبِ

و لَكِنِّي وَجَدْتُ فَمِي !

فَقَاطَعْتُ افْتِعَالَ الرَّمْلِ وَ الْأَطْلَالَ لِلْحُطْبِ

و كَرَكْرَتِ الْجِرَائِدُ فَوْقَ أَشْعَارِي .. وَ لَا عَرَبُ !

فَمَا مَعْنَى

دُخُولِي فِي شِفَاهِ الْمَاءِ مَنبُوداً

مَنْ الظِّلِّ

طَرِيداً مُثْقَلاً بِالْحَبْرِ ؟ .. لَا أَدْرِي !

أُتِّتُ عَالَمَ اللَّبْلَابِ ثَانِيَةً لِأَلْقَاكِ

و أَطْرُقُ بَابَ دُنْيَاكَ :

هَرَبْتُ مِنَ الْأَمَامِ إِلَى الْأَمَامِ،

و أَطْفَأْتُ النُّجُومَ وَ قُلْتُ : نَامِي

عَلَى كَتْفِي لِأَكْفُرَ بِالرُّخَامِ !

و يَنْغَلِقُ الْمَدَى الْمَفْتُوحُ،

يَفْجَأُنِي كَلَامُ الْمَاءِ

أَمْجُ حَقِيقَةَ الْأَشْيَاءِ حِينَ أَتَوَيْمُ الْأَشْيَاءِ

مَعَ الذِّكْرِى فَلَا يَبْقَى

عَدَا مَعْنَاكَ يَا مَعْنَى ادِّعَائِي فَتَنَةُ الْآلَاءِ

فِيَا وَجْدِي الَّذِي أَلْقَى

مَتَى مَا شِئْتَ أَنْ تَتَبَرَّجَ الدُّنْيَا وَ تَغْرِينِي

تَعَالِي وَ احْمَلِي قَلْبِي إِلَى جَنَّاتِ عَاطِفَتِي

أَوْ ابْتَعْدِي وَ خَلِّينِي

لِأَخْرَجَ مِنْ شِفَاهِ الْمَاءِ مُحْمُولاً

على ظليّ.

الموعودةُ

(السريع)

عُدْ بي إلى تنهيدةِ الخائفِ

من الهديلِ العابرِ الخاطفِ

بيضاءَ رُوحِي رغمَ ما كابدتُ

فرطَ النِّقا من حُبِّها الرَّاعفِ

- ألو! .. - ألو! .. ثُمَّ ادَّعيتَ الهوى

أخذتني للحلمِ الوارفِ

و قُلْتَ لي ما قُلْتَ .. غَرَّرتَ بي

لأنَّني من قَبْلُ لم آلفِ

فباعَتِ النَّخْلَةُ أَعْداقَهَا

موعودةً يا أيُّها الـ(لا يفِي) !

*

و عندما أوقدت نار الرضا

و الكبرياء الكاذب الزائف

تركتني تأكُلني وحدتي

بي وجع أعظمه ما خفي

أبحث عن رحي التي هاجرت

إليك يا ... في شاشة الهاتف !

نداءات

(المتقارب)

تعالى إذا شئت أن أولدا

و أبتكر الماء و المعمدا

فقد خرج الظل عن ظله

و باتت عناوينه شردا

على شهقات خطا الراحلين

و حشرجة الريح ظبي المدى

ملأت الحقيبة بالأغنيات

و قلت : ألي الهوى مفردا

فإمّا إلى حيث تغدو الحروف

جياذ المتيم أنى غدا

و إِمَّا إِلَى عَلَمٍ لَمْ أَكُنْ

لِأَبْلُغَ نِيرَانَهُ أَمْرَدًا

*

تَعَالَى كَمَا شَتَّتْ مَجْدُولَةً

مِنْ الضَّوِّءِ، مُبْتَلًى بِالنَّدَى

مُضَرَّجَةً بِدَمَاءِ الشِّتَاءِ

مُضَمَّحَةً بِالرَّبِيعِ الْمُدَى

و قَوْلِي لِأَقْرَاطِكَ الْغَايَاتِ :

هَلُمُّوا مَعِيَ فَرَقْدًا فَرَقْدًا

فَقَدْ أَدْرَكَ اللَّيْلُ أَنَّ النُّجُومَ

ثَقَبْنَ عِبَاءَاتِهِ حُرْدًا

و خَلَّفَنَّهُ دَوْمًا رُقْعَةً

مِنْ الْغَيْمِ تَعْرَى إِذَا مَا ارْتَدَى

لِذَا عُدَّ بَتَ رَوْحُهُ مَرَّتَيْهِ

من بين الضلال و بين الهدى
و أضحى يرى كل ما أجهشت
مُغِظَاتُهُ مُبِرَقاً مُرْعِداً
فهل خبرٌ في بلادِ الكلامِ
يُخَفِّفُ عَنْ وَحْشَةِ الْمُبْتَدَأِ ؟!
و هل جمرَةٌ في ضُلُوعِ الْغَرِيدِ
تَبْعَثُ فِي النَّبْضِ مَا أُحْمِدَا ؟!
أَمْ أَنَّ الثُّلُوجَ ثُلُوجَ الْغِيَابِ
إِلَى كُلِّ مَا فِيكَ مَدَّتْ يَدَا ؟!

*

حنانيكِ يا موعداً لا يحينُ
و يا رَحْلَةً بَعُدَتْ مَوْعِدَا
لَكُمْ قُلْتِ فِي الْغَدِ مِيلَادُنَا
فَشَبْتُ و لَمْ أَرَ ذَاكَ الْغَدَا !

إلى لَيْلَكَة لا تُجِدُ العَبَقَ

(أأخذ الكامل)

فَرِحَ ! .. فأنتِ الآنَ ليلَتي

رَجَفَ اعترافُ الحبِّ في شَفَتي

أنا كَم شَعَلْتُ القلبَ مِنْ وَلَهٍ

ماذا أقولُ لها ؟ أَمِنْ لُعَتي ؟

أَتَرى بريدَ الشَّعرِ ؟ تفهَمُهُ ؟

و بدأتُ أكتبُ ثاقباً رثي !

فأَضَعْتُ عُمَرَ اللَّيْلِ ليلَتها

و أنا أُمَشِّطُ شَعَرَ قافيتي

و التَّبَعُ يضحكُ .. لَمْ يَعُدْ بِدَمي

ما لَمْ يُجَرِّبْ تبَعَ محبرتي !

و بدتُ إليَّ تجرُّ غيمتها
و هممتُ أنْ .. و بدأتُ معركتي
رَهْطُ مِنَ النَّارِجِ كَانَ مَعِي
يطوي الشَّدَا بحثاً عن امرأتي
مُدُنُ العواطفِ مُدْ دخلتُ بها
نُشِرَ العبيرُ بريفٍ أُغْنِيَنِي
و البَوْحُ شِعْراً للحبيبِ أذَى
إنْ شاءَ يَدِي دُونَ مَمْلَكَتِي !
و لَذاكَ إِمَّا لَمْ أَجِدْ أُذُنًا
فَارَقْتُهَا و أَرَحْتُ حُنْجُرَتِي !
و على تَحَامُلِ عِبْرَةٍ كُتِمَتْ
و على تَعَالِي كِبَرِ كَرْكَرَتِي
مائي ثَنَاءَبَ، أَقْفَرْتُ، و مَضَتْ

تمشي على إيقاع هاويتي
و الآن مات العمرُ أجمعه
حُبًّا .. و شعرُ الحبِّ لم يمّت !

لمواعيد لا تحينُ

(الرمل)

كُلّما أوشكتُ إدراكَ المُنَى
حالَ موجٍ منْ ظُروفٍ بيننا
و بَكَتْ حُمُرُ المَواعيدِ على
كُلِّ نَجْوَى تركتُنا وحدنا
نتقرّى بالعناوين التي
ما بَلَّغناها و لا جاءتْ لنا
و على ضِفَّةِ آلامِ الهوى

جَرَحَتْ رَوْحاً وَ حَلَّتْ بَدَنًا

*

شَقَّه الْوَجْدُ وَ خَلَّاهُ التُّقَى

مُكْفَهَرَّ النَّبْضِ يَمْشِي مُطَرِّقًا

حَامِلًا فِي جَيْبِهِ أَغْنِيَةً

عَنْ شَقَاءِ الرُّوحِ .. عَنْ رُوحِ الشَّقَا

قَالَ لِي يَوْمَ جَفَاهُ ظُلُّهُ :

لَمْ تَدَعْ مِنِّي اللَّيَالِي رَمَقًا

قُلْتُ : يَا قَلْبُ افْتَرَقْنَا إِنَّمَا

عِنْدَ بَحْرِ الْحُبِّ كَانَ الْمُلتَقَى

*

جَارَةَ الْوَجْدَانِ وَ الْوَجْدِ النَّدَى

يَا رَوْى طِفْلٍ تَدْلِي مِنْ يَدَي

عُمَرْنَا نَثْرُ كَثِيبٌ لَمْ يُجَدْ

مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ غَيْرِ النَّكَدِ

فَانْتَهَيْنَا ضَائِعٌ فِي بَلَدٍ

يَتَمَنَّى ضَائِعاً فِي بَلَدٍ

حَدَّ أَنْ ضَجَّ شَقَانَا قَائِلاً :

مَا الَّذِي أَبْقَيْتُمَاهُ لِلْعَدِ ؟!

اعتذراتُ مُتَأَخِّرَةٌ

(المنسرح)

عُذْرَ اللَّيَالِي الطَّوَالِ عَنْ أَرْقِي

و عُذْرَ كُلِّ الْأَمْرَاضِ عَنْ فَلَقِي

و عُذْرَ عَيْنِي عَنْ بُكَائِهِمَا

عَشْرِينَ نَهْرًا مِنَ الدَّمِ الْغَدِيقِ

و عُذْرَ مَا لَا يُقَالُ عَنْ شَبَقِي

و عَنْ هُيَامِي فِي أَوْحَشِ الطُّرُقِ

و عَنْ رَحِيلِ الْأَمْطَارِ عَنْ مُدُنٍ

كُلُّ بَنِيهَا حَبْرٌ عَلَى وَرَقٍ!

*

أَنَا الذَّبِيحُ الذَّبِيحُ ذَاكَ دَمِي

و ذي جِراحِي و هذه مِرْقِي
آمنتُ - مُذْ كُنْتُ - بالذي كذبوا
بالموتِ عِشْقاً .. بالشَّعْرِ .. بالْحُلُقِ
بأنَّ كُلَّ الأبوابِ مُسرَّعةٌ
تغدو أَمَامَ الْمُتَقَفِّ اللَّبِقِ
و ها أنا و الرِّياحُ تلعبُ بي
في كُلِّ بحرٍ شُطَّانُهُ غَرَقِي!

*

لاحتُ وجوهُ الأمواتِ في أُفُقِي
تنحَرُ فجري فَضَرَّجَتْ شَفَقِي
فعادَ ليلى مِنْ فَرَطِ رِيَّتِهِ
أهوجَ حَرَّانَ جاحظَ الحَدَقِ
يحملُ للنَّارِ تحتَ بُردَتِهِ
هلالُهُ خَنَجَراً مِنَ الحَنَقِ

ظَنَنْتُ أَنِّي أَمَنْتُ طَعْنَتَهُ

حِينَ اشْتَرَيْتُ الْأَحْلَامَ بِالْأَرْقِ

لَكِنَّهَا قَدَّمَتْ بِلَا حَجَلٍ

رُوحِي لِكُلِّ الْأَذَى عَلَى طَبَقٍ!

*

وَا حَرْبَ الرَّاحِلِينَ فِي لُغَةٍ

مَبْتُورَةٍ الْإِدْعَاءِ وَالْمَلَقِ

أَرَدْتُهَا دِيمَةً هَوَاطِلُهَا

جَنَّاتُ عَدْنٍ .. فَأَمْطَرْتُ حُرْقِي

يَا وَائِقًا بِالْبَحُورِ مَعْدِرَةً

لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَا الْمَاءُ لَمْ تَتَّقِ!

ثلاثُ علاماتٍ تعجُّبُ

(تفعيلة الخبب)

لَمْ أَمْلِكْ إِلَّا حُنْجُرَتِي

و قليلاً مِنْ هيجانِ الحُبِّ و حشرجةِ الوجدِ

في وقتٍ لا يُجدي

للشاعرِ فيه عدا "أفخاذَ عشيرته" !

*

و طرقتُ ملايينَ الأبوابِ

أفتشُ عن بابِ الحُلُمِ الأخضرِ

ضحكُ الأدباءِ و قالوا لي : كذبَ الدَّفترُ !

*

للغيمةِ أشكالٌ شتَّى

و الموعدُ يا جَدِّي حتَّى (...) !

في رَحَابِ القصيدةِ

(تفعيلة المتدارك)

نَجْمَةٌ نَجْمَةٌ

يَخْلَعُ اللَّيْلُ أَضْلَاعَهُ

ثُمَّ يَغْدُو

كوكباً مِنْ جُيُنْ

حينَهَا يَغْتَدِي كُلُّ كَوْنٍ

أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ

و يَلُوحُ عَلَى الرُّوحِ وَجْهُ المَطَرِ

فَإِذَا مَا انْهَمَرُ

يَشْعِلُ القَلْبُ قَنَدِيلَهُ

ثُمَّ يَدْنُو

من أعالي رؤاه

هكذا يبلغُ الشَّعرُ أعلى مُناه

في رحابِ القصيدة

*

وردةٌ وردةٌ

بعدها يبدأُ القلبُ في بحثِه

عن رحيقِ الجديدة

أمنية

(تفعيلة الخبب)

- ما تَتَمَنَّى ؟

- أَنْ أَكْتُبَ شِعْراً فِي الْحُبِّ

لَا يَرْشَحُ مَنْ تُقْبَلُ فِي الْقَلْبِ !
